

## شخصية المتطرف في الرواية

صور من أربع روايات لفواز حداد

هيثم حسين  
كاتب من سوريا

تقارب الرواية الواقع والتاريخ، توثق لعصرها بكل ما يعترك فيه من تناقضات واختلافات وتناقض، تعالج قضايا المستجدة، وتسعى لتاريخ تفاصيلها، تتم معالجتها وتصويرها عبر شخصيات تمثل كل طرف أو فكر وترمز إليه، حيث أن الرواية تصبح بمثابة دراسة فكرية وفلسفية واجتماعية نفسية وتاريخية للأحداث والشخصيات، وإن كان ذلك كله عبر الخيال والتخييل المبتدئين على الوقائع والتواريخ والمنطقين منها.

تبرز الروايات أن المتطرف لا يقتصر على جانب حياتي أو سلوكي بعينه، بل يتعدى إلى مختلف مناحي الحياة، وإن كان المتطرف قد الصق بالديني في الخطابات الإعلامية الراهنة، لكنه لا ينحصر أو يتقيد به، بل هو انعكاس زاوية من زوايا المتشعبة، وحالة من حالاته المتكاثرة في الواقع.

يتعمس المتطرف الذي يرفع الدين ستاراً وشعاراً عن واقعه، يسد أذنه عن سماع الأصوات المختلفة عنه، يخشى من التغيير، وإن كان يزعم نشدائه، إذ أن التغيير الذي ينتشده يختلف عن ذلك الذي يقض مضجعه ويتهرب منه، لأنه يأمل ويعمل على توسيع رقعة تطرفه يستقطب أتباعاً ودعاة ومريدين لفكر المتطرف الذي يسجنه في ظلماته.

المتطرف النقيض، ذاك الذي يعادي الدين، يشهر أسلحته بدوره ليكون رأس حربة في حربه المعلنة على الدين، لا يعدم اختلاق الذرائع لتشويه المختلفين عنه، وتراه صورة مشوهة عن الفكر الذي يزعم قدرته على التغيير ومرونته لمواكبة الجديد والعصري.

## صراعات التاريخ والحاضر

هناك كثيرون من الروائيين صوّروا شخصيات أبطالهم بصور متطرفة، نقلوا من خلالهم حالات وظواهر تاريخية وأخرى معاصرة، كانت تلك الشخصيات علامات على دروب الإنارة والمعرفة، والتركيز على القضايا التي تكون مثار المقاربة والمعالجة والتناول.

يعد السوري فواز حداد أحد أبرز الروائيين السوريين الذين صوّروا عالم غنية مفعمة بشخصيات قلقة، باحثة عن انتماء هنا أو هناك، وتراه في عذة أعماله له يركز على قضايا الإرهاب والتطرف والاحتراب، وذلك في سياق قضايا أخرى يعالجها بتدقيق الحريص على مجمل التفاصيل المحيطة بها.

بالاطلاع على نماذج من الشخصيات التي يرسمها حداد في بعض أعماله الروائية المنشورة ما بين 2017 و2018،

يمكن الوقوف على شخصيات غاية في التطرف في المنحى الذي توضع فيه، من ذلك مثلاً شخصيات في رواياته "عزف منفرد على البيانو"، "جنود الله"،



بالاطلاع على نماذج من الشخصيات التي يرسمها حداد في بعض أعماله الروائية المنشورة ما بين 2017 و2018، يمكن الوقوف على شخصيات غاية في التطرف

"السوريون الأعداء"، "الشاعر وجامع الهوامش".

في رواية "عزف منفرد على البيانو" يرسم فواز حداد صوراً شتى للمتطرف، هناك المتطرف العلماني، وهناك المتطرف التابع للنظام، يمثل جانباً من جوانب التطرف الذي يسود بنية النظام الإجرامية الناهضة على العنف والفساد والتطرف والقتل.

تكون شخصية الأستاذ المفكر فاتح القلج بتخبطاته واضطراباته وأوهامه ومخاوفه مثلاً للمتطرف الذي يتخذ هيئة متحضرّة، مستعينة بالفكر في صراعه مع الواقع والتاريخ. يوقع الروائي شخصية بطله في مازق ليبرمي التطرف الكامن في روحه، وذلك من خلال دفعه ليصبح تحت حمائية أجهزة تابعة للسلطة، ومواجهة لشخصية متطرف من النظام، يكون صدى للتطرف السابق ونتيجة له.

يكون الخبير سليم موقداً سرياً إلى المفكر العلماني، يحاول الانسلاخ عن ماضي أسرته التي كانت ضحية بدورها، ويسعى إلى التكنم عن حالته كابتن لأحد ضحايا الجماعات الإسلامية التي سلت، أباه سحلاً على مرأى وسماع من الناس، ثم دفنته بعد أن جمعت عظام آخرين معه في قبر مشترك، قيل له إنه قبر والده.

يبرز الروائي كيف أن الخبير سليم يظل مسكوناً بعقد كثيرة، يسعى إلى الانتقام بشئى السبيل، يلوذ بالتطرف والعنف والقتل والإجرام للثأر من الماضي وشخصياته التي تسببت بتمته وقهره. كما يظهر استغلال النظام لعقد الناس وتحويلهم إلى وحوش في خدمة سياساته العدوانية.

في رواية "جنود الله" يكون تصوير المتطرف حاضراً بقوة، وذلك عبر عذة شخصيات، هناك حالة أخرى من التطرف العلماني اليساري التي أفضت إلى تطرف إسلاموي مشوه، كأنه يكون رداً على تطرف سابق، لكن بطريق معاكسة تماماً، يكون المشترك بينهما عدم تقبل الآخر، واعتباره عدواً ينبغي التخلص منه لمجرد أنه مختلف.

ينبش حداد الواقع المضطربة إلى صياغة شخصية المتطرف، الأب اليساري العلماني الذي لا يستطيع المحافظة على أسرته، يفقد صديقته التي يبدأ بمعاداتها، وابنه سامر الذي يكون طفل الخطيئة، يستكمل نسل التطرف بصيغة أشدّ عنفاً ودمويةً ووحشية، الذي يحمل الإسم وضغائنه على والده ومحيطه، ليتحول إلى العنف ويستعين به في محنته ورحلته في بحثه عن ذاته المهدورة.

يتورط سامر في الانضمام لتنظيم "القاعدة" في العراق، يتسلم منصباً قيادياً فيه، يصبح أميراً من أمرائها يعرف بالأمير عبدالله السوري، يدعو إلى القتل والعنف وممارسة الأعمال الانتحارية، يحرض على ما يسببه بالجهاد ويدعو له، وتراه يحكم نشأته في بيئة علمانية، مطالعاً على المحاججات وتمكناً من خوضها. في تطرفه، يضيف إلى تطرف والده السابق، يشينه بالعنف والدم اللذين يراهما السبيل الوحيدة لنشر مبادئ جماعته والرّد على الأعداء.

يصور حداد كيف أن الفشل الأسري يقود ابن مفكر علماني يدرس الإرهاب

ويحاول تشريح بناه الفكرية إلى أحضان الإرهاب نفسه، ليصبح إرهابياً قيادياً، يرافق أبو مصعب الزرقاوي في تنقلاته، كما يوزع مهمات الانتحاريين وينهض بدور المحامي عن الفكر الإرهابي المتقنع باقنعة الدين والتدين. كما يصور حداد صورة من صور التطرف المسيحي كذلك في "جنود الله" وذلك من خلال شخصية القسيس توماس باركلي ذي الماضي المشين، باركلي يؤكّد أن هذه الحرب الدائرة هي حرب مقدّسة، صليبية، ويدعو إلى إنقاذ جنود الربّ والتطوع لمحاربة جيوش الشيطان.

## عنف وحشي

في روايته "السوريون الأعداء" يصور حداد شخصية النقيب سليمان الذي يتبدى مهندس الخراب الكارثي الذي يساهم فيه بقسطه، يحمل حداداً منقطع النظير على الآخرين، يحمل حداداً على ذاته كذلك، كأنه لا يمكنه العثور على بذرة محبة في داخله، يكون الدعاء مستوطناً في كيانه ومشوّهاً لنفسيته وروحه التي تكون متسائمة بسموم القاتل.

الطالب الفاشل الذي يشي بخاله المعارض للأسد في بدايات انقلابه، ولا يهتم لنبيه من قبل أسرته، يسير القتل والسط، يحمل كثيراً من العقد النفسية في داخله، يكون مشوّهاً في قراراته، يحاول التعمية على قلقه ووساوسه المرضية بتقديم ولائه المطلق لسيدته الذي يستغل تلك الروح العدوانية لديه، وينقله من الجامعة التي

يفشل على مقاعد دراستها إلى صفوف الجيش ليمارس دوره في الوشايات والفتن، ثم لينقله إلى القصر ليكمل دوره المنوط به. يتحول إلى وحش بيد النظام، يبني نظامه الوحشي الخاص به أيضاً، يكون حلقة من حلقات التطرف الدموية، ومخططاً للقتل والإرهاب والدمار، يستعين بأدوات إجرامية ليمارس تطرفه العنيف، وبغضه الغريب على السوريين الآخرين جميعاً.

يظهر سليمان مسموماً بحقده الذي يقوم بتحويله إلى طاقة عنفية هدامة، ينكل بجثث الأبرياء، يلعب دوراً في المجازر الطائفية التي وقعت في مدينة حماة السورية في بدايات الثمانينات في القرن العشرين، وكان أحد موفدي النظام حينها للقضاء على التحرك الشعبي الرافض للحكم الطائفي البغيض.

يكون سليمان متطرفاً في ولائه لسيدته، يوقن أن وجوده مرتبط به بطريقة شرطية لا غنى عنها، وأن تقاينه في خدمة سيده يكفل له الاستمرار في دوره كمهندس للخراب ومحرض على التدمير والقتل، يكون وجهاً بشعاً من وجوه السلطة المتطرفة.

هناك المتطرف الآخر الباحث عن العدالة وسط ركام الماسي والجرائم المنسوبة إلى مجاهيل، في حين أن المجرمين الفعليين معلومون بشخصياتهم وهوياتهم المعبرة عن ضغائنهم تجاه البلد وأهله، يكون الطبيب عدنان الراجي الضحية التي لا ترضى بالتحول إلى جلد، تمنعه أخلاقه ووساوسه المرضية بتقديم ولائه من التحول إلى قاتل، أو التفكير في ذلك، يؤثر الاستمرار في رسالته الإنسانية

## لوحة عزة الشريف

في روايته الأحدث «الشاعر وجامع الهوامش» يختار حداد بطل الرواية شاعراً، يكون الشاعر مأمون حاملاً لبذور التطرف من جهة الجبن والتحسب والتردد والتبعية

كطبيب، يختار الانسواء تحت لواء الثورة عساه يساهم بقسطه فيها. يكون الضحية الآخر: الراجي، المتشبه بالعدالة المفترضة، يتخذها دريئة ليغلف ما يتناهبه من مشاعر متناقضة من خوف وجبن وكره. يحمل جراحه ويحاول المكابرة عليها، يزعم النظر إلى الأمام، في حين أنه ينوء باعباء الماضي القاتلة التي لا ترضى أن تزليه.

## خراب وتشويه

في روايته الأحدث "الشاعر وجامع الهوامش" يختار حداد بطل الرواية شاعراً، يكون الشاعر مأمون حاملاً لبذور التطرف من جهة الجبن والتحسب والتردد والتبعية، يمضي في المهمة التي تم تكليفه بها إلى قرية "مغربال" ليقيم على حقيقة الصراع الدائر فيها، ويقوم بتشريحه بدقة. تراه يستقوي بالسلطة الوهمية التي يتم إشعاره أنه تم منحه إياها، في حين يشعر في قرارته أنه رسول الخراب إلى الخراب لا غير.